فضاء الإخراج.. التغليف

حميد عبد المجيد هاك الله

الابتلاج يعني تغليف أبدان المؤدين فرادى أو مجاميع بحيث تظهر رؤوسهم فحسب أو لا يظهر منهم شيء في حالات، وقد تظهر أجزاء من ابدانهم، الأغلفة من قماش أو نايلون، وقد طور وشمل إخفاء الأشياء (العدد واللوازم المسرحية) وهناك من غلف أبدان المتلقين من الجمهور أيضاً.
قبل رفع الستار يجابه المتلقي هيكلاً (مغلفاً) بالكامل هو المكان الدائم - المكان الدائم حسب تقسيمات جوليان هيلتون هو المكان المشيد معمارياً للعرض المسرحي والأوبرالي، تمييزاً له عن مكانين آخرين هما المكان المحايد الذي يتمتع بمرونة دلالية وقدرة على التحول المجازي، والآخر المكان العارض وتتأسس فيه الورش والمشاغل المسرحية كالحدائق والممرات ومنتدي المسرح في بغداد والبصرة. التغليف بدأ كما اقترح من (العلبة الإيطالية) بعد أن مر المكان بمراحل عديدة منذ الفضاء المفتوح للعروض الأغريقية القديمة والمسارح الجوالة ومنصات الأمكنة العامة وسواها.
وبعيداً عن سريان مفهوم الأوائل الذين أبدعت رؤاهم تلك التقنية لأن (الأوائل) أوهام تتداعى! عند استكشاف النقيض حتى تصبح (أواخر) في بعض الحالات.
في العروض المسرحية الحداثية ثمة مؤشرات إحيائية متجددة عالمياً لهذه التقانة الجمالية تقرن بعدد من المخرجين المعاصرين ومنهم كانتور، الذي (ينطلق من مفاهيم أساسية في فلسفة كل مرحلة من إنتاجه الفني وبدأ بالتغليف منذ عام ١٩٥٦ في أعمال (كريكوت) إذ اعتمد على كيس قماش كبير تخرج منه رؤوس الممثلين وإيديهم وأرجلهم) وهو إذ يركز على هذه الثقافة في أعماله فإنه يسعى إلى (التحليل) و(المراقبة) وليس إلى (جمالية خالصة) حسب فراس جميل الشبيبي في رسالته الماجستير (الصور ولالاتها في تجارب المخرج صلاح القصب) إشراف د. عادل كريم سالم. تودوروش كانتور مخرج بولوني يتضح منهجه في بياناته الثلاثة وفي أعماله المسرحية، البيانات هي (مسرح المستقبل، مسرح اللا ممكن، مسرح الموت) قدم فيها لهجة غير مهادنة تنم مفرداتها على تعلقه ببعض أفكار (التصوير) ويعمل على تجذير الروح اللا توفيقية في الفن (مسرح كانتور - عدنان المبارك) (مجلة الأقلام - آذار ١٩٧٦)، وتقنية (التغليف) هي الجانب المختلف في (مسرح الصورة) لدى هذا المخرج.
في مغلفات عروض الفنان ا. د. صلاح القصب يستكشف (تصرفاً لا محدوداً في البعد الفيزيائي للمكان) حسب أحد النقاد (بتحويله إلى أشكال متعددة ومختلفة وغير متجانسة، وغريبة غير مألوفة عن طريق إعادة تشكيله فضائياً بواسطة أدوات بسيطة مثل أجساد الممثلين تحت قطعة قماش) كما في مسرحية (الخليقة البابلية) و(الملك لير) عبر تشكيلات جسمانية مثيرة في شكلها وغريبة في حركتها) "راجع مسرح الصورة بين النظرية والتطبيق تأليف القصب ٢٠٠٣" وفي (مكبث) أكداس من موتى مكفنين بالأبيض محشورين في عربة. وتشكل قطع القماش (الموجود الصوري) والتي شكلت (الصورة المهيمنة) في (الخليقة البابلية) و(الملك لير) و(العاصفة)، في الأخيرة تغطى بها مجموعة كبيرة مبعثرة من الكراسي والآلات الموسيقية وكأن هذه (الصورة المهيمنة) واجبة الوجود.
وحسب نبيل بدران، الرداء الأبيض الكبير الذي يغطي المنصة في بداية عرض (الملك لير) يتخذ باستمرار أشكالاً مختلفة متجددة هو (الكفن الصغير) الذي يلف بعض الشخصيات، كما يلف عالماً ميت الضمير والمشاعر والقيم وهو (المنفى) للمطرودين، حاجز مادي يباعد بين البشر، وحاجز نفسي يفصل الإنسان عن ذاته.
يتحول الرداء إلى سد بين الأب وابنتيه الجاحدتين، ويتحول إلى أمواج هادرة تبتلع لير، ويستخدم "كستارة" داخلية للدخول والخروج والتهيئة، حركة الممثلين تحته - والرأي لبدران - تتخذ تشكيلات تعبيرية: حركة أشجار متمايلة في غابة، وتشكل أمكنة يفترضها الخيال في حركة دائمة مولدة لمتواليات صورية.
ويشير الناقد عواد علي إلى (القماشة) في احتضار (آنا) زوجة (مهرج السيرك) إلا أنه لم يكتشف قيمة فنية مهمة لها.
في (الحلم الضوئي) متجول نائم على الأرض مغطى بقماشة سوداء، متجول آخر يجلس القرفصاء، غطي نصفه الأعلى بقماشة بنفسجية، وقماش أبيض يغطي كرسياً وآلة كمان. وفي (عزلة في الكرستال) ترمى (أغطية بيض) على المشاهدين. استنتج أن التغليف بالقماش (وحدة إخراجية) متنامية لها أبعاد فلسفية وجمالية وحرفية في (محطات) مسرح الصورة - محطات مصطلح صوري بديل لمفردة تجارب.
عدد من مخرجينا أسسوا على هذه التقانة، اذكر أمثلة منها حسب متابعتي لها. في (أسنان الحصان كم هي؟) تأليف وإخراج عباس منعثر "نقابة المعلمين في ذي قار" غلفت مجموعة ممثلين داخل (مشمع) ظهرت رؤوسهم فحسب في تشكيلة لتوكيد محنة رجال تحت رقابة مشددة تحبط مسعاهم لقول حقيقة عارية كما عري الملك في (ثوب الأمبراطور)، ومع تباين مواقف كل من أفراد المجموعة إلا أن الحظر - الغلاف المحيط بهم تشكل حدوده خانقاً لرقابهم في تشكيلة وسط مكان إيهامي يوحي بالاغتراب.
مونودراما (تحت المطر) تاليف وإخراج الفنان الراحل جبار صبري العطية - عرضت في البصرة وبغداد - بثت (قطعة قماش بيضاء) مدلولات عدة في مقاربة (للتورية) المكانية والزمانية التي تعمل خارج سياقات المنطق للإيحاء بعلامات (خطاب الموت) المهيمن.
(ثامن ايام الأسبوع) مسرحية علي عبد النبي الزيدي أخرجها حيدر مكي تتحرك وتسكن اشباح مغلفة بالبياض في (جبانة) تدار بتقانة عالية، يطالب (رجل مكفن) بدفن نفسه فيها أسوة بغيره! في صراع بين زمن ميت ضد زمن حي آت يقاوم وأد الأنسان.
وغلف المخرج عصام جعفر حوش منتدى المسرح في البصرة بالنايلون حيث مجريات وقائع (ضحية) تلقى في جب في مسرحية معدة عن (الباب) للشاعر يوسف الصائغ، موحيات التغليف فضاء كابوسي متخيل الصراع فيه تصريحي بين الضحية والجلاد داخل عالم سفلي يوحي بالأبدية.
التغليف دلالياً وجمالياً مدونة إخراجية مفتوحة لا مستقر لها تتحرك في البياض والغموض والخيال.

في التشكيل العراقي .. الحداثة والهوية

د. عامر عبد زيد

يمثل الحراك الثقافي في الانشطة التي تعتمدها اتحادات الادباء والمنظمات الفنية حالة في تفاعل المثقفين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية. وللدرس الاكاديمي سعة في الحداثة والتجريب املا في مغادرة الابدية والتقليدية صوب المختلف لانه العتبة المفضية الى حياة جديدة يبشر بها الواقع وتتجلى في الحوار الذي نظمة اتحاد ادباء بابل مع ثلاثة اساتذة من اكاديمية الفنون الجميلة وتعمق بالمداخلات التي استغرقت وقتا طويلا وسنحاول تقديم توصيف موسع من حوارية الحداثة والهوية لانها كانت الحلقة النقاشية الاولى في برنامج الاتحاد ضمن ثلاث حلقات ذات اهتمام فكري ومعرفي قال الدكتور عاصم عبد الامير في قراءته بضرورة مراجعة المنجز التشكيلي لغرض تحليل مظاهر الخطاب الجمالي ومسوغاته ووجوده الثقافي عبر التاكيد على وجود مدخل مناسب للقراءة التي لا تهدف بالضرورة الى مقارنة من نوع ما، ويعلل ذلك بان الفنون والاداب تستطيل تبعا لمسوغات شتى لان نزعة التحديث لاتشترط الازلية عبر مسعى الحداثة الى تعرية الوثوقية. ما يجعل الافاق مشرعة لاعادة القراءة وانتاج قيم حية تقوم على دحض الثابت عبر اخراج انطباعاتنا من حيز التقديس الى حيز الشك عبر الهدم الذي يمثل وجها من اوجه البناء حتى لو كان داعما للسلطات المهيمنة اذ لا تنظر فنون الحداثة الى الخلف الا لاغراض السير للامام تماشيا مع احلامها وقد صدق من قال ان الحداثة ليست اكثر من تدمير ذاتي مبدع.
لكن ثمة مفاهيم اخذت في الوسط الثقافي بعدا اخلاقيا لا ينبغي المساس به ومنها ياتي مفهوم (الهوية) إذ ان الدكتور عاصم عبد الامير تمحورت ورقته حول جدلية العلاقة بين الانا والاخر الاوربي والتي تمثلت في بزوغ هوية عراقية فنية لا تتسم بالتبعية للاخر الغربي عبر صياغة مشروعها الفني الذي يتسم بخصوصيته.
ان الفن العراقي لم تكن به حاجة لاعتماد السياق نفسة الذي اعتمدته فنون الاخر الاوربي.
ولهذا يصف الموقف العراقي من الحداثة الذي عبر عنه بجملة واحدة هي:
(ما ان يمد نظره الى المستقبل لا يجد نفسه الا في رحاب الماضي) هذه هي مقارنة في مشروع يراد له ن يكون تنويريا ودائم التغير، ومثل الهروع للماضي لدى كثيرين حلا سحريا.
ان التنويريين كانوا بين خيارين لا ثالث لهما،الاول التيه جراء اللهاث وراء موجة الحداثة. والثاني الاحتماء في رحاب الماضي لجعله مشعا قادرا على الحياة دون ان يطاله الاندثار.
وهذه الثنائية التي اعتمدها الناقد بين التيه . احتماء لا تعني خلق ما هو حداثوي بقدر ما يعبر عن افق الاحتماء الذي يظهر في موقف ال سعيد الذي يرى أنه لن تكون الهوية واضحة الا عندما تكون نموذجية في احالتها للمرجعية وفي بحثها عن تفاصيل الذات في الذاكرة والجمالي للحضارة العربية.
وقد وصف كل ذلك الدكتور الاعسم عبر جدلية العلاقة بين الاصالة والمعاصرة التي بدات تصاب بانكماش والاتساع مما ترك تحولاً في الذات الثقافية الى ذات اخبارية او مستهلكة وهذا بنظره: يشكل بذرة تشتت قد ينتج ثقافة حائرة. في ظل هيمنة قيم القدامى، في وقت يعيش الاخر ضرورة نقد الماضي والشك في قيمه بقصد اعادة انتاجية تماشيا مع احلام الانسان. وفي هذه الحالة تغدو الهوية وجودا لا معنى له حالة اخراجها من مواصفاتها في السياق، وليس السياق سوى الرحم الذي تمد فية الهوية جذورها لتورق تاركة وشما يصعب محوه.
اما الدكتور (فاخر محمد) فقد حلق في فضاء (جمالية المادة في الرسم الحديث) واكد ان المادة ليست بمعناها الفلسفي(أي الذي يقصده) بل المعنى الحسي في تشكيل العمل الفني سواء كان فنا بصريا ام موسيقيا لكن في فن الرسم حتى لو كانت المادة زيتا او مواد اخرى فلها جماليتها الخاصة حتى قبل التشكيل ويعلل ذلك بقوله: لكونها في اطار الوجود المستمر والوحدة. ثم يقول: خلال الخمسه قرون المنصرمة كانت مادة الزيت هي المادة المهيمنة على اغلب الابداعات التشكيلية في مجال الرسم واشار الى موقع الحركة التشكيلية من التي لم تكن على دراية كبيرة باسرار المواد وتقنية تشكيلها، فان اغلب فناني العراق خلال سنوات الثلاثينيات كانت المدة المستخدمة ليست الا وسطاً لنقل ادراكات بصرية. وكان للمادة دور في ذهن الفنانين حيث جاءت الانتقالة المهمة مع (جواد سليم) حيث اعطى في دور المادة وطريقة معالجتها في وقت كان الرسام العراقي لا تشكل المادة لديه الا جزءا بسيطا في عملية الابداع لكن مع جواد سليم الذي عرف بالبساطة في استخدامه المادة في اعماله مضاءه بطاقتها التعبيرية او الوجدانية ونتيجة للخبرة الطويلة والمستمرة مع المواد توفرت للفنان طلاقة وحرية يستطيع من خلالها ان يستخرج الاشكال مصادفة وعفوية. واستطرد الفنان فاخر محمد: تلك الحرية التي تمثلت في الممارسة الطويلة التي جعلت من(فائق حسن) خبيرا في اسرار المادة كاشفا عن خفاياها حتى غدا مرجعا للاجيال، ومؤسسا اصيلا لقواعد بناء العمل الفني او اللون تحديدا وكان رسام صورة او شكل الا ان المتفحص للوحاته يرى ان كل غايته هي الكشف عن جوهر المادة وجماليتها وحساسيتها على السطح التصويري ويعلل هذا الحكم بالاشارة لانموذج من اعماله اتضح فيه وعيه في التعامل مع اللون حيث قال: تشبه طريقة رسمه" للبيوت "طريقة بنائي البيوت الطينية، انه يعجن المادة اللونية بيديه ويتاملها جيدا اثناء تدويرها ومعالجتها ؛ ففي هذا العمل كانت الكثافة اللونية هي الفيصل في نجاحها واهميتها هنا ليست في تكون شكل البيت بل في ذاتها لانها بنية مستقلة وطاقة مستقلة، فالتخيل شيء وتحققها على السطح التصويري شيء اخر.
اما تجربة الفنان (حافظ الدروبي) فقال عنها:
كان ضمن مقتنيات المتحف العراقي الذي نهب مؤخرا عمل بعنوان (حديقة) وتقنية هذه اللوحة تقترب الى حد كبير من اعمال فائق حسن فالمادة الكثيفة للزيت وطريقة معالجتها منحت اللوحة حساسية جمالية واضحة للعيان.
ويمضي الفنان في شرح تطور جمالية المادة في الفن التشكيلي العراقي وذكر اسماء كثيرة منها: شاكر ال سعيد، وكاظم حيدر واخرون الا انه ختم ورقته قائلا ان الحركة التشكيلية العراقية رغم سنوات الحروب كانت قادرة على ان تولد باستمرار فنانين واساليب وتقنيات قابلة للوقوف بوجه تحديات العصر وهذا ماسوف تبرهن عليه الفترة الاتية.
وبدأ الدكتور الفنان (كاظم نوير) في تناوله (الحداثة والرسم العراقي) بتعريفه الحداثة بقوله: انها كمفهوم ارتبطت بتمرد الذات على كل ماهو معياري وتاريخي والحداثيون ينظرون الى العالم والوجود والفن بشكل مختلف عن الاخرين لذا كان الماضي بكل قيمه معرضا للهدم والتقويض.
والتركيز على (الانا) هو (التحصن) في خنادق الماضي التي يصفها بانها محاولة لصد سعي حرية الفنان وذاتيته. لهذا يؤكد ان الحداثة التشكيلية العراقية تتمثل بالاتي:
١. لم تستند إلى سياق حداثوي وظلت محاولاتها متصفة بشيء من الحداثة.
٢. ان الفنان قد يسقط في عمق الوعي التاريخي، ومركزية الانا التاريخية، لكن من امن بالحداثة فان اشكاله رغما عنه تقوم بدور الانفتاح في كل التصورات والمرجعيات المحتملة.
٣. انها وان كانت ذاتية فهي حداثة عقلية، فالفنان يعيش في منظومة دولة القانون، والديمقراطية، ونقد التقاليد والعلم، والاقتصاد وان تكون الانسانية العنصر الاساس والفاعل فيها، انها جدلية بين الوجود، والعقل والبيئة والمكان والتواصل.
٤ . الحداثة التشكيلية الفنية سلسلة من التجريب والتجديد، وتمجيد للاخطاء والذنوب والمغامرات فالفنان يحمل في ذاته مضامين متناقضة انها حداثة بحاجة الى ان ينفصل كل جيل عن الماضي، وهكذا لتشكيل القطيعة تقليد لتلك الحداثة.
وفي كل هذا كان (كاظم نوير) يؤكد على فعالية النسبي والهامشي بدل التأبيد (والابدي) المطلب الذي يهيمن على الساعين اليه بوصفه بديلا.
وقد تناولت الجلسة الكثير من المناقشات التي استطالت الى مساحات و فضاءات اجتماعية وسياسية.

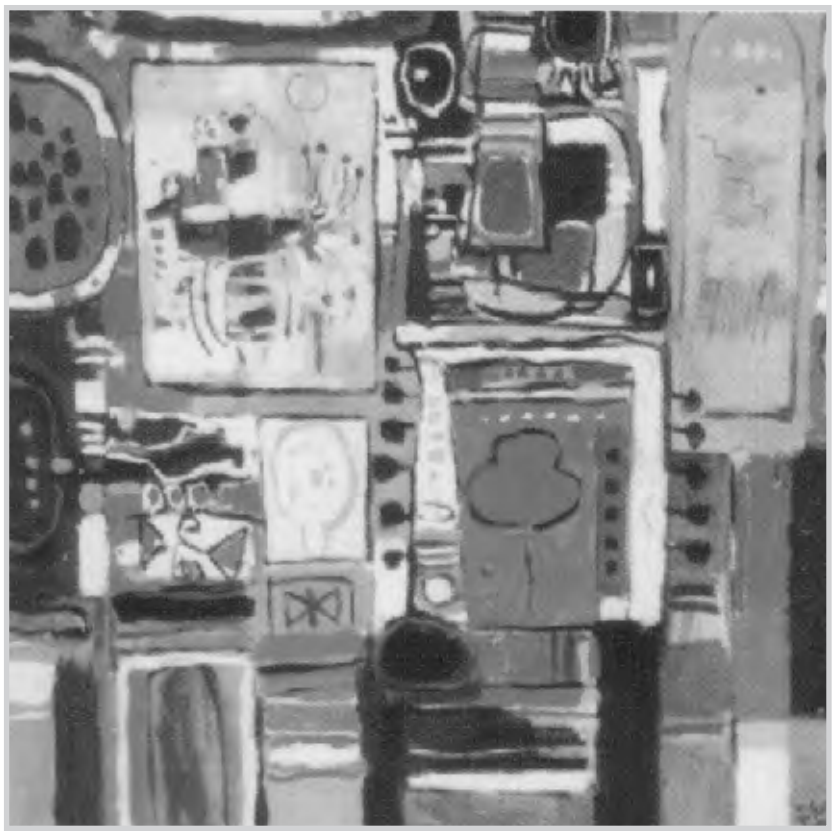

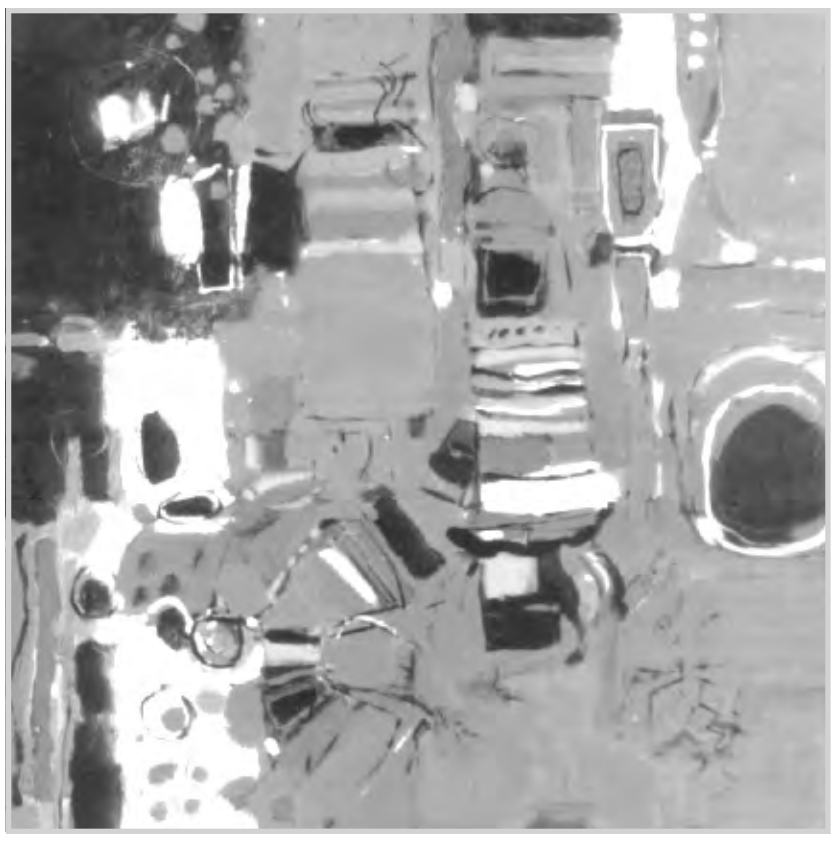

الشعر صوت للمحبة ووسيط لصداقات جديدة

ناجم المعموري

قرات في واحدة من سفراتي الى عمان تقريراً ثقافياً موسعاً عن امسية ثقافية للقاصة الكويتية ليلى عثمان وبدعوة من احدى الفعاليات الثقافية في هولندا.
كان حديثها طويلاً ومتشعباً لكنها ركزت على استعدادها للعمل من اجل حركة ثقافية تضم عدداً من الادباء العراقيين والكويتيين تضع لها برنامجاً ثقافياً وسياسياً من اجل انقاذ الشعب العراقي من مطحنة الصراع وايجاد حلول سريعة تحافظ على حياة الاطفال العراقيين.
استغربت من شجاعة ليلى عثمان التي تجلت من خلال دعوتها الجريئة، وايقنت انذاك بأن للثقافة دوراً مهماً في القضايا المصيرية والخطيرة. لم يحصل شيء لكن هذا الكلام ظل في ذاكرتي واستيقظ فجأة في اللحظة التي سلمني فيها صديقي المبدع موفق محمد رسالة وصلت اليه من شاب كويتي يعمل مراسلاً حربياً، انه الشاب عبد الله العتيبي.
قرأت رسالته الشفافة المليئة بالشعر والحب والصداقة التي صاغتها قراءة شعرية واحدة لموفق محمد، وكان هذا الشاب مسحوراً بموفق محمد ومفتوناً بشخصية د. مالك المطلبي ومستعيداً لحظاته مع القاص عبد الستار البيضاني.
هل فعلاً كل هذا التراكم من الحنين لاصدقائه الذين تعرف عليهم من خلال مهرجان البابطين ؟ وهل فعلاً مازال الشعر قادراً على اشاعة الفرح والسعادة في الحياة ؟ وما هي القدرة التي تبدى بها شاعر مثل موفق محمد حتى يفتح باباً واسعاً لصداقة حقيقية واصيلة.. الشعر الذي نسف كل المتراكم بيننا واقترح وحدة بين الشباب المبدعين، بأمكانه ان يعاود دوره الطليعي في حياتنا ويساعدنا على ان نعيش مثلما يجب ان تكون عليه حياة المبدع العراقي والمواطن البسيط ايضاً.
قال مراسل الحرب الكويتي:
حسناً، ايها (القديس) الثمل.. مكانك كما تقولون باللهجة العراقية، كم اشتاق اليك، اتذكر عندما قال لي فارس في ليلتك المميزة في المهرجان، انك ستأتي لنسهر معاً، قلت له: هل تقصد هذا الخارج من النص، الذي ترك الميكرفون ودخل علينا في الصالة وكاد يأكلنا لولا عناية المنظمين ؟ اقتربت منك بعد حين، سمعت انفاسك الثكلى، وروحك المهتاجة للحب.
واوضح بأن الكلام ينطوي على صدق وصراحة، مثلما هو كاشف عن لحظة الاتصال الاولى مع الشاعر وطريقة الضيف في تداول الشعر وقراءة النص، اعتماداً على الاستماع الاول، التقطت الحزن فيك، عندما (تصفن) برهة، حتى انني صورته وسأبعث بالصورة اليك، راق لي الى حد كبير لقائي بك والزملاء واكتشفت كم هي خادعة (خطوط الطول والعرض)، من صنع هذه الاوهام بيننا ؟ لا بأس، لنكن شرط ان نبقى اصدقاء، احياناً اشعر انك تتحدث باسمي.
ويبدو لي أن الشاب عبد الله معوق حرب، انها حربنا عليه، وواحد مثله مازال يحمل عوقه لا يمكن لذاكرته ان تمسح الغزو وما حصل لهم، لكنه تصالح معنا عبر موفق ومالك المطلبي وعبد الستار البيضاني، ومثلما فعلت المبدعة ليلى عثمان كنت خائفاً من ان تأتي لحظة صمت اثناء جلوسنا معاً، كنت خائفاً كثيراً، لكنك حميتني بروحك الطيبة، كنت سأبكي لو صمت الجميع، سينكشف ضعفي وهشاشتي، لم اكن اريد العودة الى الواقع كنت والصديق مالك المطلبي كمقام (الصبا الذي افتقده كثيراً بسبب الاصابة اللعينة، فغرق بالحزن لكنه متصالح مع الحب).
ويتدلع احياناً ؟
ان اهتمامي بهذه الرسالة متأت من فاعلية المبدع العراقي وامكاناته العالية في خلق فرصه الجيدة في الاتصال مع الاخر ولأنها –الرسالة –نص يفضي إلى قراءة متعددة، اهم ما فيها إنها اشتعلت فتيلا ظل مهيمناً علينا، وضاغطاً على علاقة المجاورة مع الادباء والمثقفين الكويتيين، كانت يده المرتعشة هي التي اشعلت فتيل العزلة وفاض علينا بالحنين والود، وادركت أن صوت المثقف الكويتي قادر على عبور المسافات ويصل الينا ليؤكد عمق علاقة وتاريخ مشترك.. لقد كرر هذا الشاب، مراسل الحرب في مرحلة السلم ما قالته المبدعة ليلى عثمان في محاضرتها التي أشرت لها.
شكراً للشعر العراقي الذي شطب حدود الرمل ونسف خطوط الطول والعرض
ورفع عالياً هوية المحبة والصداقة
شعرنا العراقي رسول لنا
يسبقنا في كل مكان ويفتح الأبواب للناس.